المحاضرة الثّانية:

مفهوم أدب الأطفال، وأهميته.

I. مفهوم أدب الطّفل.

II. أهمية أدب الأطفال، وأهدافه.

III. الاختلاف بين أدب الأطفال، وأدب الكبار.

لا يمكن أن يكون لأدب الأطفال تعريف مستقل، بل إنه أدب يندرج في إطار الأدب العام، وهو مرتبط بالكاتب والقارئ، والشّيء الّذي ينفرد به (أدب الأطفال) هو الجمهور الّذي يخاطبه الأديب، ومع أن الاختلافات بينةٌ بين أدب الكبار وأدب الصّغار فيما يتعلق بالذّهنية والإدراك، إلا أن مادة أدب الأطفال ليست منفصلة عن أدب الكبار، ولم تنشأ منفصلة عن التّيار العام للحياة الأدبية.

I. مفهوم أدب الطّفل:

يختلف الدّارسون والمنظرون في تعريف أدب الأطفال باختلاف منطلقاتهم الفنية والإيديولوجية، فيقدم بعضهم الوظيفة التّي يجب أن يؤديها أدب الأطفال على ما سواها من الخصائص، وهذا ما نراه عند القائلين بفكرة الالتزام بصفة عامة (كالاشتراكيين مثلا)، ويكتفي بعضهم في تعريفه بالتوقّف عند الكيفية التّي يجب أن يقدم بها أدب الأطفال، بغض النّظر عن الوظيفة الاجتماعية التّي يمكن أن يؤديها، ويحاول الفريق الثالث أن يجمع بين الكيفية والوظيفة.

يقول الكاتب الروسي (مكسيم غوركي): "**إن أهم واجبات كتاب أدب الأطفال وأكثرها جدية تنحصر في تقديم كتب للطفل تبحث في أصل الملكية الخاصة وتوضح له كيف تصبح الملكية الخاصة عقبة في درب التقدم الإنساني**"[1]، وواضح كيف يحصر هذا التّعريف مفهوم أدب الطّفل في منظور اشتراكي، يعادي كلّ ما من شأنه أن يوحي للطّفل، أو يزيّن له الملكية الفردية، أو الرّأسمالية.

ومن جهته يعرف الأستاذ (نجيب الكيلاني) أدب الأطفال، من وجهة نظر إسلامية، بقوله: "**أدب الأطفال الإسلامي هو التعبير الأدبي الجميل المؤثر الصّادق في إيحاءاته ودلالاته، والّذي يستلهم قيم الإسلام ومبادئه وعقيدته، ويجعل منها أساسا لبناء كيان الطّفل عقليا ونفسيا ووجدانيا وسلوكيا وبدنيا، ويساهم في تنمية مداركه، وإطلاق مواهبه**

[1] الربعي بن سلامة، **من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي**، دار مداد يونيفارستي براس، قسنطينة، الجزائر، ط:1، 2009م، ص: 11.

الفكرية، وإطلاق قدراته المختلفة، وفق الأصول التربوية الإسلامية، وبذلك ينمو ويتدرج الطّفل بصورة صحيحة تؤهله لأداء الرسالة المنوطة به في الأرض، فيسعد في حياته ويسعد به ومعه مجتمعه، على أن يراعي ذلك الأدب وضوح الرؤية وقوة الإقناع والمنطق ... ذلك هو المفهوم العام لأدب الأطفال"[2].

ومن التعريفات التّي تركز على الوسائل والكيفيات أكثر من التركيز على الوظيفة التربوية والاجتماعية لأدب الأطفال، تعريف (بتزنر جون) الّذي يقول: "**وإذا فالفكرة التّي نعنيها بالأدب في هذا المؤلف هي تلك المجموعة من الخبرات ذات الدّلالة بالنّسبة للأشخاص الّذين يستخدمونها، ونظرا لأن هذا السجل من الخبرات ليس مقصورا على الكتابة وجب أن نضمن في عرضنا للأدب بالنّسبة للأطفال كل أنواع الصّور حيثما وجدت، بحيث لا يقتصر الأمر على الكتب، هذا فضلا عن الأسطوانات (التسجيل) والتسجيلات الإذاعية، ويضاف إلى هذا أنه حيث يستحيل فصل هذه المواد عن الصّور المأخوذة منها يجب أن نضمن بحثنا الكتب والمجلات والصّحف واللافتات وكتابات الأطفال أنفسهم والاستماع إلى القصص، والصّور المتحركة، والبرامج الإذاعية، والأسطوانات والمسرح، باعتبار أن هذه كلها اعتبارات لابد منها في أي بحث يتناول برنامج الأدب."**[3]

وهناك تعريفات أخرى ترى في أدب الأطفال ما يشمل مجموعة الكتابات التّي يعتبرها الأطفال خاصة بهم، وتظهر قيمة هذه المجموعات كلما ازداد الإدراك لدلالاتها ويقترب من هذا الرأي ما ذهب إليه (محمد حسن بريغش) حين ركز في تعريفه على طبيعة الطّفل أكثر من تركيزه على وظيفة الأدب، أو وسائله، فقال: "**فأدب الأطفال هو النّتاج الأدبي الّذي يتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم وأعمارهم، وقدراتهم على الفهم والتذوق، وفق طبيعة العصر،**

[2] المرجع السّابق، ص: 12.

[3] المرجع نفسه، ص ص: 12، 13.

وبما يتلاءم مع المجتمع الّذي يعيشون فيه ... ولا يمكن أن نبحث عن أدب الطّفل بالصّورة التّي يعرفها هذا العصر، كما لا يمكن أن نبحث عن أي لون أدبي أو عن أي علم بالصّورة التّي نعرفها اليوم، فكل عصر له سماته وله طبيعته وله أذواقه وأسلوبه"[4].

وفي إطار النّظرية الأدبية الحديثة يقدم (محمد علي الهرفي) تعريفا لأدب الأطفال، يرى أنه أقرب لطبيعة الأدب ووظيفته، فيقول: "**إنه تشكيل لغوي فني ينتمي لنوع من أنواع الأدب سواء أكان قصة أم شعرا مسرحيا أم شعرا غنائيا، يقدمه كاتب تقديما جيدا في إطار متصل بطبيعة الأدب ووظيفته اتصالا وثيقا، ويتفق وعالم الطّفولة اتفاقا عميقا**"[5].

إنّ المتأمّل للتّعريفات السّابقة يمكنه ملاحظة إجماعها على التّأكيد أن يكون للأطفال أدب خاص بهم، وعلى ضرورة اختيار المادة المقدمة للأطفال بعناية تامة ليقبلوا على تعاطيها، والاستفادة منها. كما لا يخف تحسّس كلّ المهتمين بأدب الأطفال لخصوصيته المستمدّة من خصوصية الفئة الموجّهِ لها؛ لذلك يشترطون أن تخضع الكتابات الموجهة للأطفال لمعايير محددة ومناسبة؛ بحيث تراعي جودة المادة، وجمال الأسلوب، وملاءمة المادة لذوق الأطفال ومستوى نضجهم ونموهم العقلي والنّفسي.

II. أهمية أدب الأطفال وأهدافه:

كثيرا ما نردّد أنّ الطّفل صفحة بيضاء نخطّ عليها ما نشاء؛ أو هو عجينة طرية، قابلة للتّشكيل وفقا لمهارة المشكّل، أو المبدع نفسه. لذلك يمكن تمثُّلُ خطورة ما نقدّم للطّفل من أدب سيصقل شخصيته ومواهبه، وينعكس عليه وعلى أمّته مستقبلا. وتبعا لذلك فإنّ أدب الأطفال يعتبرُ بمثابة العصا السّحرية التّي يستطيع بها الكبار الدّخول إلى عقول الأطفال وقلوبهم

[4] محمد حسن بريغش، **أدب الأطفال، أهدافه وسماته**، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط:2، 1416هـ، 1996م، ص:46.

[5] محمد علي الهرفي، **أدب الأطفال، دراسة نظرية وتطبيقية**، مؤسسة المختار للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط:1، 1421هـ، 2001م، ص: 16.

في وقت واحد، وتزداد أهمية هذا الأدب كونه يؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة في عقل الطّفل ووجدانه.

إن الأدب يهيئ للطفل الفرص اللازمة ليتعرف على البيئة المحيطة به، وعلى مجموعة الخبرات الإنسانية من حكم، وآمال، وطموحات، وآلام، وأخطاء، ورغبات، وغيرها، ومن خلال هذه المعرفة تتضح للطفل حياته وعلاقاته بالآخرين بعد أن يفهم دوافع سلوكهم وتصرفاتهم.

وبالإضافة إلى ما سبق نستطيع أن نبين أهمية أدب الأطفال فيما يلي:

1. يثري الأدب لغة الأطفال من خلال ما يزوّدهم به من ألفاظ وكلمات جديدة، كما أنّه ينمّي قدراتهم التّعبيرية، ويعوّدهم الطّلاقة في الحديث والكلام لما يزوّدهم به من الخبرات المتنوّعة.

2. يساعد على تحسين أداء الأطفال، ويزوّدهم بقدر كبير من المعلومات التّاريخية والجغرافية والدّينية والحقائق العلمية.

3. يوسع الأدب خيال الأطفال ومداركهم من خلال متابعتهم للشّخصيات المختلفة.

4. يهذب الأدب وجدان الأطفال لما يثير فيهم من العواطف الإنسانية النّبيلة من خلال مواقف الشّخصيات التّي يندمج ويتفاعل معها.

5. يعود الأطفال حسن الإصغاء وتركيز الانتباه، لما تفرض عليه القصّة المسموعة من متابعة لأحداث تغريه لمعرفة النّتيجة التّي تصل إليها.

6. كما يُعوّد الأدبُ الأطفالَ الجرأة في القول، ويهذب أذواقهم الأدبية، كما أنه يمتعهم ويسليهم، ويجدد من نشاطهم.

7. يتيح أدبُ الطّفل فرصة اكتشاف الموهوبين من الأطفال، ويعزز غرس الروح العلمية وحب الاكتشافات، وكذلك الروح الوطنية، كما أنه يوجه الأطفال إلى نوع معين من التّعليم الّذي تحتاجه الأمة في تخطيطها كالتّعليم الزراعي والصّناعي، بإظهار مزايا هذا النّوع من خلال سلوك محبب لأصحاب هذه المهن[6].

III. الاختلاف بين أدب الأطفال وأدب الكبار:

ينظر إلى أدب الأطفال على أنه محاولة لتبسيط أدب الكبار، وعلى الرّغم من اتحادهما في الشّكل والمضمون إلا أن بينهما مجموعة فروق نذكر منها:

1. أدب الأطفال له تميزه وخصوصيته، بينما أدب الكبار له حريته واستمراريته.
2. أدب الكبار تبدعه القرائح في ظل مطالب الحياة دون شروط سابقة وتوجهات خاصة، أما أدب الأطفال، فإنه يصاغ في ظل شروط سابقة، إذ ينطوي على التوجيه، وبث التوجهات في المتلقّين، وهو يصور حياة لا تضبطها قواعد وتقاليد، بقدر ما يحيط بها من متع وآمال وطموحات وأحلام وردية... كما أنّ المبدع في أذب الطّفل لا يعيش تجربة بشرية كاملة، وإنما يعيش موقفًا تربويًا ويتسلّح برؤية إنسانية أخلاقية، وهذه الرؤية تحسن النّظر لما حولها من أشياء.
3. يتّسم أدب الأطفال بخصوصيات (طبيعة مادته اللغوية، وتراكيبه الأسلوبية، ومضامينه، وأشكاله الفنية، وأنواعه الأدبية) تضبط المبدعين، وتجعلهم في حالة وعي بالمراحل التّي يمر بها الأطفال، وذلك لاختلاف درجات التّأثّر بين الكبار والصّغار.
4. يحتاج أدب الأطفال إلى مهارة عميقة في فهم نفسياتهم وأحوالهم، وعلى عكس أدب الكبار الّذي يعكس في غالبه أحوال كاتبه النّفسية، وأحواله المزاجية.

[6] ينظر: عبد الفتّاح أبو معال، **أدب الأطفال (دراسة وتطبيق)**، ص ص: 19، 20.

5. يحتاج أدب الأطفال إلى أسلوب سهل بسيط، في حين نجد أن أدب الكبار مصحوبٌ عند تناوله بكثير من التّكلف؛ على الرّغم من أن التبسيط في أدب الأطفال قد يجعله أكثر تكلفاً من أدب الكبار؛ لأن صفة البساطة قد تتحقق – فقط – إذا التقى الكاتب مباشرة مع طفولته الكامنة، وعقله الباطن، واستطاع أن يحيا تلك الطّفولة عن طريق إبداعه القصصي والشّعري.

6. أدب الصّغار أدب خيالي، ينمو بداخله حنين التوجّهات الإيجابية، والأدب الّذي يقدم للكبار يعبر عن ذاتنا تجاه الوجود والمصير.

7. يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار في عملية النّقد ... فمعايير عملية النّقد والتحليل والتوجيه الأدبي لا تلتقي على سواء.

8. أدب الكبار في معظمه أدب على الورق، يقرأ كثيراً، ويستمع قليلاً، ويشاهد أحياناً، أما أدب الأطفال، فهو مشاهدة بصرية (قراءة أو فرجة)، وتتلقاه الآذان كثيراً، وهو في كل الأحوال مرتبط – من حيث علاقته – بمتلقيه[7].

[7] ينظر: سمير عبد الوهاب أحمد، **أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، والطّباعة، عمان، الأردن، ط:1، 2006م/1426هـ، ص ص: 44-46.وينظر كذلك: عبد الرحمان عبد الهاشمي، وآخرون، **أدب الأطفال فلسفته، أنواعه، تدريسه**، دار زهران للنّشر والتّوزيع، عمان الأردن، ط:1، 1430هـ/2009م، ص:47.